BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الإسكندرية

منتدى الحوار

Dialogue Forum

(DF)

المـــرأة والتـــراث الثقـــافـــي

محمد الكردي:

في أمسية منتدى الحوار اليوم نستضيف الدكتور أحمد عبد الله زايد أستاذ علم الاجتماع وعميد كلية الآداب جامعة القاهرة، ومن الصعب تقديم الدكتور أحمد زايد لأنه له أكثر من مائة منتَج ثقافي، سواء في صورة كتاب أو مقال أو مشاركة في ندوة، ولكنني سأكتفي ببعض الإشارات بحيث نستطيع تكوين فكرة عامة عنه، فهو عضو في العديد من اللجان والمراكز منها لجنة الدراسات الاجتماعية بالمجلس الأعلى للثقافة والمجلس الأعلى للسياسات بجمهورية مصر العربية، ورئيس مجلس إدارة مراكز البحوث بكلية الآداب جامعة القاهرة، كما أن له العديد من الكتب والدراسات في علم الاجتماع والسياسة والثقافة أذكر منها "الدولة في العالم الثالث"، "النخب السياسة والاجتماعية"، "علم الاجتماع وحوار الحضارات"، "الأسرة المصرية وتحديات العولمة"، "العنف في الحياة اليومية في المجتمع المصري"، "المرأة المصرية بين خطاب التحرير والواقع"، "المرأة والمشكلة السكانية"، وهذا هو محور المحاضرة التي سيحدثنا فيها الدكتور أحمد زايد عن المرأة وموقف التراث منها.

أحمد زايد:

مقدمة

دعوني في البداية أتحدث قليلا عن المنهج وعن الطريقة التي سأتناول بها الموضوع، وذلك بتوضيح مقدمات بسيطة قد تعيننا على فهم هذا الموضوع. فإذا حاولنا أن نُعرِّف مفهوم "التراث الثقافي"، فإننا نقوم بتعريف الثقافة بشكل عام والتي نُعرِّفها – اعتمادا على رالف لنتون – على أنها مخططات للحياة، والمقصود بذلك أنها تشير إلى الأطر الثقافية التي ترتبط بالمعتقدات والتقاليد والعادات والمعاني والرموز التي تميز شعبا من الشعوب. وهذه المخططات تاريخية المنشأ، بمعنى أنها لا تنشأ بين يوم وليلة وإنما هي تراث يتراكم عبر فترات تاريخية طويلة، ويتحول التراث بأطره الفكرية والفلسفية والحياتية مع ارتباطه بالعادات والتقاليد والمعاني والرموز إلى رصيد للشعب الذي يمتلك هذا التراث. ونستطيع أن نميز داخل هذا التراث بين

الجوانب الفكرية وبين الجوانب الفلسفية وبين الجوانب الحياتية، وهنا ننظر إلى الثقافة بمعناها الواسع الذي يشتمل على كل هذه المعاني.

والمرأة — التي تمثل الشق الثاني من العنوان – فاعل في التاريخ، وهي بشر مثلها مثل الرجل تماما، ويُنظر إليها في العلوم الاجتماعية بوصفها فاعلاً، وكلمة "الفاعل" من المصطلحات الأصيلة في علم الاجتماع، صحيح أنه استُبدل في السنوات الأخيرة بمفاهيم أخرى مثل مفهوم "الممارس"، إلا أننا ننظر للمرأة في هذا السياق على أنها فاعل، والفاعل ذكرا كان أو أنثى هو فاعل يتفاعل داخل التراث، فلا يستطيع أن ينعزل عن هذا التراث، بل إن التراث الثقافي والموجِّهات الثقافية وهذه المخططات الثقافية هي التي تحكم سلوك هذا الفاعل، فهو لا يستطيع أن ينفك منها إلا إذا كان فاعلا مبدعا قادراً على أن يتجاوز هذا التراث أو أن يضيف إليه شيئا ما. ونحن عندما نستخدم كلمة فاعل والمفعول به في نفس الوقت، فالفاعل في علاقة التفاعل هو فاعل ولكن في نفس الوقت هو آخر، فالمرأة كذلك آخر يوجَّه إليه السلوك والفعل، وقد يكون بعلاقتها كفاعل بالتراث والثقافة قدر من التوازن أو القهر أو الهيمنة أو غير ذلك. في الأغلب الأعم، فإن الثقافة هي التي تحتوي الفاعلين المنخرطين في داخلها، وهي التي تقهرهم — إذا استخدمنا مصطلح دوركايم — بما تفرضه عليهم من ضمير جمعي ومن سلوك جمعي، وهي التي تضبط هذا السلوك، وهي التي تقيد غرائز هؤلاء الفاعلين وتضبط الدافعية لديهم.

ومن هذا المدخل، نستطيع أن نفهم من عنوان "المرأة والتراث الثقافي" أننا هنا بصدد علاقة فاعل بالبنية الاجتماعية التي يتحرك فيها، وحركة الفاعل في داخل هذه البنية الاجتماعية هي حركة تاريخية، بمعنى أنه إذا كان التراث في الأصل تاريخي المنشأ وله أبعاد تاريخية، فإن حركة المرأة كفاعل داخل هذا التراث هي أيضا حركة تاريخية؛ بمعنى أننا إذا نظرنا إلى علاقة المرأة بالتراث في مصر في هذه اللحظة، فنحن لا ننظر إلى هذه اللحظة بعينها، وإنما هذه اللحظة هي تراكم لرصيد تاريخي طويل قد يمتد إلى ما قبل الحضارة الفرعونية. هذه التراكمات التاريخية تُضاف إلى التراث، والمرأة من خلال الخبرات التاريخية التي مرت بها تتوارث أدواراً معينة وسلوكيات معينة، وتتوارث علاقة معينة بهذا التراث أيضا.

أولاً : المداخل النظرية للعلاقة بين المرأة والتراث

ومن هذه المقدمة، قد يكون مفيدا أن نستعرض بشكل سريع بعض الأطر النظرية أو بعض المداخل التي نظرت إلى علاقة المرأة بالتراث، والسؤال هو كيف فُسرت هذه العلاقة ما بين التراث والمرأة كفاعل عبر الأطر النظرية التي نعرفها في العلوم الاجتماعية؟ في الواقع، نستطيع هنا أن نميز بين عدة مداخل، المدخل الأول هو **المدخل التاريخي البسيط** الذي يبحث في التراث منتقيا، حيث ينتقي بعض العناصر التراثية عبر التاريخ، فيدرس مثلا المرأة عبر العصور التاريخية في علاقتها بالتراث، كالمرأة في العصر الفاطمي والمرأة في العصر الأيوبي والمرأة في العصر المملوكي وهكذا، نستطيع أن نُحقِّب التاريخ، ونستطيع أن نبلور دور المرأة في علاقتها بالتراث داخل كل منظومة تاريخية أو داخل كل فترة تاريخية. وهذا المنهج يعيبه كونه انتقائيا

بمعنى أنه ينتقي بعض الأشياء دون الأشياء الأخرى، وهناك بعض الدراسات التي تؤكد مثلا على أن المرأة في علاقتها بالتراث كانت منتصرة و لم تكن تعاني أية مشكلة، ودراسات أخرى تؤكد العكس بالقول بأن المرأة كانت مقهورة وإلى غير ذلك من الآراء، ولكن ذلك يعتمد على المدخل الأيديولوجي أو النظرة الأيديولوجية التي ينظر من خلالها الدارس إلى هذا الموضوع.

يأتي بعد ذلك ما يمكن أن نسميه بالمدخل التحديثي، وينبع هذا المدخل مما سُمي في العلوم الاجتماعية بنظرية التحديث والتي تقرر بشكل بسيط أن الحداثة الغربية بمظاهرها المختلفة من التعليم والديمقراطية والحرية والتطورات التي تحدث في مستوى الصحة وفي مستوى العلاقة بين الذكور والإناث ونقل هذه الثقافة الغربية بقيمها الغربية التي تنبع من المركزية الأوروبية ونشرها عبر العالم كل ذلك يخلق أطراً وتوجهات قيميّة ويخلق مخططات ثقافية أو أطراً ثقافية جديدة أو تراثًا ثقافيًّا جديدًا يُنقل إلى هذه المجتمعات ويُسهم إسهاما كبيرا في تحرر المرأة وفي إكسابها قدرا من المساواة مع الرجل وفي إكسابها قدرا كبيرا للغاية من الديمقراطية ومن الوعي بذاتها ومن المشاركة الاجتماعية والسياسية، وقد عبر عن هذا الرأي الكثيرون من أصحاب نظرية التحديث، آخرهم البحث المشهور الذي قدمه إنجل هارت والذي درس فيه حوالي ٦٥ دولة طبَّق فيها استمارات بحث، وزعم أن هذه المجتمعات تكوِّن حوالي ٨٠% من سكان العالم تقريبا، ومن خلال البحث المشهور الذي نشره عن القِيَم والمقالات المشهورة التي ألفها بالاشتراك مع آخرين عن النوع الاجتماعي والمساواة والديمقراطية، اكتشف أن كثيرا من المجتمعات التي درسها حققت المرأة فيها درجة من المساواة ودرجة من الحرية، وأن نشر الثقافة الغربية والتوجهات الليبرالية تؤدي إلى تحرير المرأة وإلى إكسابها قدرا من الحرية. ولكن هناك تحفظات على هذه النظرية، فمثلا في مجتمعاتنا العربية، اكتشفنا أن هذا المظهر الخارجي في التعليم لا يؤدي بالضرورة إلى أن تكتسب المرأة المساواة التي ننشدها أو التي قد يتحدث عنها إنجل هارت.

ومن النظريات الأخرى التي نظرت لعلاقة المرأة بالتراث الثقافي نظرية التبعية أو نظرية النظام الرأسمالي العالمي التي انطلقت من مفهومات ماركسية وڤيبرية – نسبة إلى ماكس ڤيبر – ومن مقولات اقتصاديين آخرين غير ماركس مثل آدم سميث على سبيل المثال، وحاولت هذه النظرية في رؤيتها للمرأة أن تركز عل الاستغلال الذي يقع على المرأة من جرَّاء الأطر الثقافية، فهناك استغلال اقتصادي جوهري من خلال السيطرة الرأسمالية ومن خلال آليات السوق التي تفرض على المرأة أعباءً في العمل خارج المنـــزل، بل وداخل المنـــزل والذي من الممكن أن يضطرها إلى أن تستعين بغيرها للقيام بأعمالها، ولكن ذلك سيكلفها أجرًا إضافيـــًّا مما يدعوها لتوفير هذا الأجر للأسرة بحيث تقوم بعمل نوع من تجميع الدخل للأسرة لكى يساعدها على الاستمرار في الحياة وعلى أن تتواكب مع الأطر الرأسمالية والتي تضغط على المرأة وتؤثر عليها تأثيرا كبيرا.

وقد اكتسبت هذه النظرية شهرة كبيرة في أواخر الستينيات وفي السبعينيات والثمانينيات، وكانت من النظريات الشائعة للغاية، وأُجريت من خلالها دراسات كثيرة عن أدوار المرأة المتعددة وعن الاقتصاد المعيشي للمرأة وعن المرأة في المجتمعات المهمَّشة والفقيرة وفي العمل الزراعي وغير ذلك. ودائما ما تستخدم الأطر الاقتصادية السائدة المنظومات الثقافية والتراث الثقافي السائد في بلد من البلدان لكي تضغط به على المرأة وتجبرها على أداء أعمال أكثر من طاقتها وتُخضعها لمزيد من الاستغلال، وقد انتُقدت هذه النظرية أيضاً، ونحن نؤكد على أننا ننظر إلى هذه الأطر بشكل عام وسريع وليس من وجهة نظر أكاديمية بحتة.

ولعل آخر هذه المداخل هو المدخل النسوي النابع من النظرية النسوية، وهي النظرية التي طرحت مفاهيم مثل الــgendre والتمكين empowerment وهي مفهومات جديدة تماما، ولا تنظر هذه المفاهيم إلى المرأة بوصفها كائنا بيولوجيا ولكن بوصفها كائناً تم تصنيفه ثقافيا، وهذه هي العلاقة بين التراث الثقافي وبين المرأة، فالمرأة نوع اجتماعي وليست نوعًا بيولوجيًّا، والمقصود بكونها نوعًا اجتماعيًّا هي أنها اكتسبت هذه الصفة لكونها أنثى وأنها اكتسبت هذه الأدوار من خلال سيطرة الأطر الثقافية التي قالت هذا ذكر وهذه أنثى وقسمت العمل بين الذكر والأنثى على هذا النحو، ولذلك كان من أحد التوجهات لدى هذه النظرية أن تقاوم هذه الأطر الثقافية التي تضغط على المرأة والتي تفرض عليها أدوارا معينة وأن تمكن المرأة من التمرد على هذه الأدوار، وقد بالغت هذه النظرية كثيرا بالقول ببعض الآراء التي أشير إلى بعضها بسرعة كالقول مثلا بأن ثمة فرعاً من هذه النظرية يُطلق عليه النسوية الثقافية، وأنه حتى إذا افترضنا وجود فروق بيولوجية بين الذكر والأنثى، فإن هذه الفروق تجعل للمرأة صفات ثقافية مختلفة عن صفات الرجل، بمعنى أن تجعلها أكثر طيبة وأكثر حكمة، وأنها عندما تشرع في السلام فإن الرجل يعلن الحرب، وعندما تشرع في الوئام الاجتماعي فإن الرجل يتسبب في الصراع الاجتماعي، وأن كل الصفات المحببة التي نأمل أن تظهر في مجتمعاتنا تمتلكها المرأة، ومنها الصفات الثقافية بحكم التكوين الثقافي لها وبحكم ما فرضته عليها هذه الثقافة التي جعلتها تؤدي أدوارا معينة، ولذلك، ففي المستقبل لابد أن يكون الحكم للمرأة وأن تكون السيطرة للمرأة، لأنها أكثر الفئات التي يمكن أن تحقق ما يمكن أن يُطلق عليه السلم الأهلي والسلام العالمي.

وهناك أيضا النسوية البيئية، وتعني أن تقوم هذه النظرية بعمل مقارنة بين الضغط والاستغلال الذي يُمارَس على المرأة وعلى الأطفال وعلى البيئة، فإذا كنا نريد أن نحسِّن البيئة فلابد من رفع الاستغلال عن المرأة ومن ثم يتم رفع الاستغلال عن البيئة، وهذه الأمثلة توضح إلى أي مدى تبالغ النظرية النسوية في تجسيد قضية المرأة وفي التعبير عن موقف المرأة بشكل فيه نوع من الدراما بحيث يخلق السلوك النُسوي نفسه نوعاً من التمرد على هذه الثقافة برفض الزواج ورفض الأسرة، لدرجة أن أحدهم ذكر مفهوما يهاجم به النظرية النُسوية بحيث أُطلق على بعض غلاة هذه النظرية "النازيين الجدد" لأنهم مثل النازيين الذين يريدون قتل فئات معينة فهؤلاء يقتلون الأجنة برفضهم للزواج ولتكوين الأسرة.

كل هذه النظريات، قد نتخذ منها موقفا نقديا، أو نقبل كلاً منها على حدة من خلال المدخل الذي أتبناه في كتاباتي وأنا أرصد حركة العلاقة بين التراث والفاعلين الاجتماعيين، أو حركة البنية الاجتماعية في مجتمع مثل المجتمع المصري. وأنا أنظر إلى مجتمع مثل المجتمع المصري أو المجتمع العربي بشكل عام على أنه مجتمع له قدر من الخصوصية في اكتسابه لصفة الحداثة، فنحن عندما تحدَّثنا، بمعنى أصبحنا أفرادا حداثيين، وعندما تعلمنا واكتسبنا الثقافة الغربية ودخلنا في حوار مع هذه الثقافة الغربية منذ الحملة الفرنسية أو قبل ذلك بقليل وتفاعلنا مع هذا التراث، لم نكوِّن حداثة مثل تلك التي توجد في المجتمع الغربي لأننا لم نكن نمتلك الجذر الحداثي، أو أن الجذر الحداثي الذي كنا نملكه مات ولم يستمر بسبب الاستعمار، فتكونت لدينا حداثة من نوع خاص، كما أسميها في كتاباتي حداثة ظرفية أو حداثة برَّانية.

وهذه الرؤية تقوم على فكرة أنه على الرغم من أن الحداثة الغربية مشروع عالمي – وهذا ضد كلام نظرية التحديث – إلا أنها لم تخلق في المجتمعات التي دخلتها حداثة تشبهها، وإنما الذي تخلَّق لدينا هو نوع معين من الحداثة هو حداثتنا نحن، بحيث نجد أن التقاليد قادرة على أن تحوِّل الحديث، والحديث يستطيع أن يحوِّل التقليدي. ونحن لا نعرف على وجه اليقين عما إذا كنا تقليديين أم حداثيين، بمعنى أننا قد نجد شخصا متعلما إلا أن في داخله الثقافة التقليدية، ونجد شخصا تقليديا إلا أنه يستخدم كل الأساليب الحداثية أو الحديثة، فنحن مجتمع به مجموعة من المتناقضات أدخلتها هذه الحداثة.

ثانيا: علاقة المرأة بالرجل في المجتمع التقليدي:

وسوف أركز على إظهار كيف تؤثر هذه الترددات على علاقة المرأة بالتراث، ولكن قبل ذلك وجبت الإشارة إلى صورة المرأة أو العلاقة بين المرأة والرجل في التراث التقليدي قبل أن تدخل هذه الثقافة الحديثة. ففي التراث التقليدي، هناك دراسات كثيرة منها ما جاء في كتاب بعنوان "النساء والنوع في الشرق الأوسط"، وهناك دراسات أخرى كثيرة عن الإمبراطورية العثمانية، وعن المجتمع في العصر العثماني، لأن لهذه الفترة بالذات تراث وثائقي كبير للغاية، فهناك تراث المحاكم الشرعية وتراث الأملاك وغيرها من الوثائق. وأصبحت هذه الوثائق زادا كبيرا للباحثين الذين يعيدون اكتشاف هذا المجتمع التقليدي - الذي يقول البعض أنه لم يكن مجتمعا تقليديا – وأنه مثلما كانت المرأة مقهورة في جوانب إلا أنها – وخاصة النسوة على مستوى الصفوة – كانت تملك وتتقاضى أمام القضاء، وكان القضاء يحكم لها وكانت تثبت الملكية أمام الأزواج وأمام الأخوة وتوقف الأوقاف، وكل هذه وثائق موجودة، وقامت عليها دراسات معروفة وموثقة. ومن خلال الدراسات التي أجريت على قضايا المحاكم الشرعية، اكتشفنا أن هناك الكثير من النساء اللائي حصلن على حقوقهن للملكية ضد أخواتهن، وأن هناك الكثيرين كان لديهم وثائق ملكية محفوظة باسم نسوة، وهذا يدل على أن المرأة – وخاصة من كانت من بنات الصفوة والنخبة والفئات الاجتماعية الأكثر استقرارا – كانت لها مكانة معينة، وأننا لو هبطنا إلى المستوى العادي للحياة اليومية لاكتشفنا أن هناك دراسات تتم يُعاد فيها صياغة دور المرأة، فمثلا هناك دراسات تتحدث عن البدوية

وعلاقتها بالمغـــزل وأن المرأة تمتلك المغـــزل والرجل يمتلك الماشية وكلاهما عنصران فاعلان في الحياة البدوية وأن الحداثة عندما دخلت أفقدت المرأة مغزلها.

وهذا معناه أن التراث الثقافي التقليدي القديم لم يكن كله ضد المرأة، وهناك محاولات أخرى ليس على المستوى الاقتصادي وإنما على المستوى الإسلامي الديني، فهناك اتجاه تتزعمه أستاذة مغربية اسمها فاطمة المرنيسي تقول إنا لكي نقف ضد التيار المتشدد الذي يفرض على المرأة أشياء باسم الدين يجب علينا أن نترجم النصوص ونفسرها وأن نقدم صورا جميلة للمرأة من التراث الإسلامي من خلال دراسات تمت منها ما يخص السيدة عائشة أم المؤمنين والدور الذي كانت تلعبه والذي كان دورا سياسيا واجتماعيا ودينيا، فالمسألة في التراث التقليدي ليست كلها على المستوى الديني أو على المستوى الاقتصادي وليست كلها ضد المرأة، وأنا ضد فكرة أن نحاكم التاريخ وأن نقول أنه ظلم المرأة، وإنما هناك جوانب إيجابية لابد من دراستها، وأن التراث الثقافي لم يكن كله تراثا ضد المرأة وإنما أعطى للمرأة فرصة بشكل أو بآخر.

ولكن وفي الوقت نفسه الذي أعطيت فيه للمرأة هذه الفرصة، كان هناك تراث يحمل عناصر أساسية، منها فكرة الأبوية التي أعطت الرجل الحكم والسلطة، فهو الذي يحكم وهو صاحب السلطة وهو الذي يقرر الكثير من الأشياء، وفكرة المجتمع الأبوي موجودة في التراث التقليدي في الكثير من المجتمعات العربية ومنها المجتمع المصري، وهذه الفكرة الثقافية موجودة ومغروسة في التراث الثقافي العربي، وكانت فكرة أثارها ماكس ڤيبر في دراساته عن الإمبراطورية العثمانية، وأصَّلها الأستاذ هشام شرابي بشكل أكبر معتمدا على ماكس ڤيبر في أطروحته دون أن يشير بشكل كبير إليه، حتى أنه يذكر مصطلح ماكس فيبر "المجتمع البطريركي" والذي ينطبق على المجتمعات العربية.

كذلك، فكرة الذكورية، فالثقافة التقليدية لم تكتف أن تكون هناك أبوية يسيطر فيها الرجل على المرأة وإنما أيضا الذكورية، بمعنى الرجل الذكر القادر على أن يفعل كذا وكذا، وأصبحت فكرة الذكورة أو الفحولة متغلغلة. ويتحدث الأستاذ عبد الله الغذامي عن الفحولة المستمدة من فحولة الرجل وعنفوانه وذكوريته كما يتحدث عن الشعر الفحل. ومن ذلك أيضا، فكرة الشرف، فعندما نحلل لفظة "الشرف"، نجد أنها من مادة "شَرَفَ"، ومنها "نشرُف" بمعنى نطل من علٍ، فالإطلالة من علٍ ارتبطت عند العرب وفي التراث الثقافي الذي نعيش في كنفه بشيئين، عندما ارتبطت بالمرأة ارتبطت بعذرية المرأة وعندما ارتبطت بالرجل ارتبطت بقتل الرجل، بمعنى أن العائلة تفقد شرفها إذا قُتل رجلها والمرأة لا تُقتل بحكم قانون الثأر، وإنما العائلة تفقد شرفها إذا فقدت المرأة أو أصابها شيء ما في عذريتها، فصورة الشرف وتطبيقه على الرجل وصورة الشرف وتطبيقه على المرأة يعكسان التناقض الكامل. وكأننا عندما نطل من أعلى ونكتسب أبويتنا وذكوريتنا ونكتسب هذا الشرف وهذه الإطلالة من علٍ، نكتسبها في الحقيقة عبر قهر المرأة وعبر الإعلاء من شأن الرجل. فعندما يفقد الرجل حياته يُلطَّخ شرف القبيلة، وأول من تولول عليه وأول من تحاول الإمساك بقيمة الثأر بقبضة من حديد هي المرأة التي يتحدث عنها نفس التراث عن كارثة فقدها لعذريتها. فهذه العلاقة الجدلية بين فكرة القتل وفكرة فقد العذرية والرموز التي من الممكن أن نكتشفها بين الاثنين من

التناقض في الثقافة التقليدية يدل على أن المرأة في وضع أقل وفي مكانة أقل، وأن المرأة تساهم في إعادة إنتاج هذه الثقافة بالمحافظة الشديدة على عذريتها والرغبة الشديدة في إظهار هذه العذرية أثناء الزفاف، وكذلك، المحافظة الشديدة على قتْل من قتل الرجل من عائلتها أكثر من الرجال بل إنها هي التي تحث الرجال عليه، فالمجتمع حول المرأة إلى أداة للدفاع عن الثقافة الذكورية.

ثالثا: المرأة وتناقضات الثقافة الحديثة:

والصورة التي قدمتها الآن خاصة بالثقافة التقليدية قبل أن تدخل الحداثة، وهى أشبه بالنمط المثالي لصورة العلاقة بين المرأة قبل دخول الحداثة، ولكن عندما تعلم الناس ودخل أفراد المجتمع المدارس والجامعات وأنشئت الجيوش وأصبح هناك شرطة وأصبح هناك زي حديث، بدأت معمعة الثقافة الحديثة، وتحولنا إلى ثقافة حديثة، ولكن هذه التناقضات التي كانت موجودة في المجتمع التقليدي لم تمحها الثقافة الحديثة تماماً، وهذا هو الفرق بين التحليل الذي أقدمه والتحليل الذي يقدمه أنصار نظرية التحديث الذين يقولون أن التعليم يحرر المرأة. صحيح أن المرأة حققت نجاحات في التعليم، وإذا تتبعنا إحصاءات الأمية والتعليم نجد أن المرأة حققت نجاحات كبيرة في مجتمعنا المصري، بل وفي مجتمعات أخرى مثل مجتمعات الخليج العربي والتي كانت حتى عشرين عاما مجتمعات تقليدية، حققت حاليا نهضة كبيرة في مجال التعليم، إلا أن نسبة الأمية بين النساء ما تزال عالية، وبين النساء الفقيرات أو النساء في الريف تكون أعلى من الحضر، كما أن نسبة الأمية بين النساء أعلى من الذكور، وكل هذه حقائق نعرفها ولا داعي لتكرارها.

نعم حققت المرأة نجاحات في مجال التوظف، حيث أصبحت المرأة طبيبة ومهندسة وقاضية، ولكن السؤال هو هل أدت هذه الثقافة الحديثة إلى أن تختفي بعض التناقضات التي حكمت علاقة المرأة بالرجل في الثقافة التقليدية؟ وهل ظهرت بعض التناقضات الحديثة التي أُدخلت عبر اكتسابنا لهذه الثقافة الحديثة؟ أم أن الصورة ما تزال نمطية عن المرأة، ولازلنا نتحدث عن النساء أنهن ضعاف لا يمتلكن إلا نصف العقل، ويحدث ذلك كثيرا حتى في أحاديثنا اليومية العابرة، وعندما نوصم رجالا بوصمة نقول عنهم أنهم "مثل الستات" بمعنى يتحدثون كثيرا ويتناقلون الأخبار. وهذه صور نمطية موجودة في أذهاننا، وهذه الصور النمطية عن المرأة موجودة في ذهن النساء وفي ذهن الرجال على حد سواء، وهي تتدعم من خلال الرجال ومن خلال النساء، والمرأة نفسها مثلما نقول بعد ذلك لم تتمكن رغم تعليمها من أن تقاوم هذا الظلم الثقافي الواقع عليها و لم تتمكن أن تناضل وتمارس في الحياة اليومية ما يمكّنها من تفكيك هذه الأطر من حولها.

كذلك، هناك ما يرتبط بالمفهومات الثقافية الجامدة حول المرأة؛ لأننا عندما نحلل كثيرا من هذه السلوكيات نجد أنها مرتبطة بسلطة الرجل، فلو أخذنا مثلا فكرة "العيب"، وهي فكرة شائعة في ثقافتنا، ولو تعمقنا في هذه الفكرة سنجد أننا نعتقد أنه من العيب أن تخرج الفتاة بمفردها وأن الولد لابد أن يكون دائما حارسها وأن المرأة لابد أن يكون معها رفيق رجل، فهذا المفهوم عندما نتعمق فيه ونفككه من الداخل،

سنكتشف أنه مرتبط بسيطرة الرجل على المرأة أو بالسيطرة الذكورية، وهو موجود حتى الآن. وفي بداية التحديث، كان الآباء يفرحون فرحة شديدة للغاية بتعليم البنات، إلا أنهم اكتشفوا أن البنات سيخرجن عن طوعهن فبدأ الاتكاء على مفاهيم "العيب". وإلى الآن، يرتبط هذا المفهوم ببعض ممارسات السلطة أو القوة التي يمارسها الإخوة على أخواتهم أو الآباء على بناتهم أو الرجل على المرأة بشكل عام في المجتمع، وكل القائمة التي تحتوي على بنود وصف السلوك الذي تقوم به المرأة على أنه عيب وعدم وصفه على أنه عيب بالنسبة للرجل يرتبط دائما بسيطرة ذكورية وبمحاولة الرجل الاستحواذ الشديد على المرأة بحيث لا تنفك من تحت يده أبدا!

والمرأة أيضا تدافع عن هذه الأطر الثقافية، فمن ضمن التناقضات الموجودة، أنه على الرغم من أن المرأة تتعلم – وهو من تناقضات الحداثة التي نعيشها – إلا أنها تدافع دفاعا شديدا جدا عن الثقافة التقليدية، وهناك الآن اتجاه موجود في المجتمع المصري للعودة إلى التقاليد استخدمنا له مصطلح "قلدنة الحداثة" بمعنى أننا كما لو كنا نصوغ الحداثة بطريقة تقليدية، فكأننا نخاف خوفا شديدا للغاية من الحداثة فنرتد إلى ذواتنا ونتقوقع كما نتقوقع داخل الحجاب الذي انتشر بدون تفكير وبدون سلوك ديني بالضرورة، بل مرجعه هو حب الثقافة التقليدية، وإذا كان هذا خارج موضوع المرأة إلا أنه ينعكس على المرأة وهو أن المرأة هي التي تدافع عن هذه الأطر الثقافية مرة أخرى وهي التي تدافع عنها.

وفي غمار هذه التناقضات الحداثية، نناقش قضية هامة جدا في علاقة المرأة بالتراث الثقافي، فالمفروض أن المرأة في سلوكها يجب أن تدافع عن استقلالها وعن ذاتها هي في نفس الوقت ترتد إلى الدفاع عن العلاقة المعتمدة على الرجل. وأنا لا أتحدث عن قلة قليلة العدد من النساء يكتسبن قدرا من الاستقلال والحرية، وإنما أتحدث عن عموم النساء اللائي لا يستطعن أن يطورن أساليب الاستقلال، ويفسر البعض هذا السلوك بأن المرأة تدرك السيطرة الأبوية والذكورية الواقعة عليها فهي من هنا تريد أن تسيطر على الحياة الخاصة داخل المنـــزل، فتبرز هذا الخضوع في خارج المنـــزل إلا أنها تحاول أن تُفككه في داخل المنـــزل.

من الأمور المستمرة في الثقافة الحديثة صور التمييز بين الرجل والمرأة، وأهم مظاهرها التمييز في المعاملة بين الذكر والأنثى في كافة صور الحياة من طعام وصحة وغير ذلك، وقد تمت دراسات في قاع المجتمع الريفي وقاع المجتمع الحضري، ووجد أنه إذا كان للأسرة الخيار في تعليم الولد أو تعليم البنت فإنها تميل إلى أن تختار أن تعلم الولد وليس البنت، وقد تُخرج بعض الأسر الولد أيضا من التعليم عندما يكون هناك حاجة له للعمل، أما في حالة الخيار في استمرار تعليم أيٍّ منهما فإن الولد بالطبع هو الذي يستمر في حين تُحرم البنت من التعليم. وحتى في الاهتمام بالصحة، فعندما يكون هناك قرار بالذهاب إلى الطبيب لتلقي العلاج بالنسبة للولد يختلف عندما تكون التي تحتاج إلى الذهاب إلى الطبيب هي البنت.

هناك تمييز في المشاركة السياسية والاجتماعية، فالمجتمع لا يمنح المرأة الحق في أن تشارك مشاركة فعالة في الحياة الاجتماعية في المجتمع المدني ولا في الأحزاب ولا في تقلد الوظائف الكبرى في الوزارة، حتى دخول المرأة في بعض المهن، فمازالت هناك مهن حكر على الرجال كالمهن التي تحتاج إلى قوة بدنية مثل

القوات المسلحة أو الشرطة، صحيح أن هناك بعض المحاولات لمشاركة المرأة هنا وهناك إلا أن صور التمييز لا تزال قائمة، وهذه الصور من التمييز تمتد حتى إلى الفرص الحياتية التي تحصل عليها والتي تقلل من قدراتها، ولذلك نجد في تقارير التنمية الإنسانية العربية ربطا بين ضعف المرأة وقدرتها على أن تشارك في الحياة، ويفترض أن الهدف الأساسي للتنمية الإنسانية هو أن تحقق المرأة المزيد من المشاركة.

ومن المسائل الأخرى التي تكشف عنها هذه التناقضات في العصر الحديث، العلاقات المتناقضة في صورة الجسد المرتبط بالمرأة أو في علاقة المرأة بجسدها، ونجد أنفسنا أمام استقطاب رهيب للغاية بين نمطين أو بين قطبين من الممكن أن يكون بينهما صور مختلفة، اتجاه قوي للغاية لحجب الجسد وتغطيته والكشف عن رموز هذا الجسد في أن يبتعد وينـــزوي ويتقوقع داخل جلباب، وهو يعكس التناقض الشديد الموجود في بنية الثقافة الحديثة المقلدنة والذي قد يصل إلى حد الاستقطاب في مجتمع مثل المجتمع المصري، واتجاه ثان وهو الصورة الأخرى وهي التحرر الخالص للجسد، وهذا التناقض موجود ليس فقط في المجتمع المصري أو العربي وإنما في داخل المرأة الواحدة، ونجد المرأة الخليجية تحجب جسدها في سياق معين وتحرر جسدها في سياق آخر، فكأن هذا الجسد هو وسيلة للتعبير عن التحرر وهو الرمز لذلك. وفي ومجتمعنا المصري نجد حجب الجسد بشكل قاسٍ في بعض الأحيان وعدم إظهار أي مفاتن له وقد لا يكون ذلك من منظور اتجاه ديني، وفي المقابل التحرر الكامل، وبين القطبين هناك تباينات وألوان وأطياف مختلفة تكشف عن تنويعات في الطريقة التي يظهر بها الجسد والتي تعبر في الواقع عن التناقض القائم وعن الأزمة الكامنة في بنية المجتمع وعن الأزمة القائمة في بنية العلاقة بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة.

خاتمة:

لعل كل هذه العناصر وغيرها تكون قد أوضحت لنا قضية العلاقة بين التراث والمرأة، إن دراسة العلاقة بين المرأة كفاعل في هذا التراث ليست بسيطة بهذه الدرجة، وهذه هي الرسالة التي أريد أن أوصلها. وأنا لا أحل المشكلة بقدر ما أطرح تساؤلات حولها، فهذه العلاقة ليست بسيطة بحيث نحللها بقولنا أن التراث يقهر المرأة ويفتت حياتها ويضيعها، أو أن التراث يحرر المرأة ويعطيها الفرصة للمشاركة، وأنا أعتقد أن كلا الردين فيهما نوع من المبالغة والاختزال والابتعاد عن الواقع، لأن الواقع نفسه في علاقة المرأة بالرجل به قدر من التعقيد، لأن التراث الثقافي تاريخي وأدوار المرأة تاريخية، ولأن هذا التاريخ الطويل لا يمكن أن يُحل بالإجابات البسيطة بأن التراث الثقافي يقهر المرأة أو أن التراث الثقافي يحرر المرأة، وهو أمر غير مقبول.

ولكن في الحقيقة أننا بصدد تناقضات عميقة للغاية في العلاقة بين الرجل والمرأة تحتاج إلى مزيد من الفهم، وتحتاج لكي نفهمها أن نتعمق في الصور النمطية التي نكونها عن المرأة والصور النمطية التي تتكون عن الرجل أيضا، وأن نحللها بالنظر إلى صور التفرقة والاستغلال التي توجد بين الرجل والمرأة، نصادفها حتى

في استمرار المفاهيم التقليدية مثل الأبوية والذكورة والشرف، وبخصوص الشرف تحديدا والذي يكون بمعنى الأخلاق والأمانة، كما أن هناك تناقضا رهيبا فى نظرة المرأة ذاتها إلى نفسها، ففي الوقت الذي يتحرك فيه المجتمع نحو التحرر من هذه الأطر الجامدة، نجد أن المرأة نفسها هي التي تحاول في بعض الأحيان أن تدافع عن الأطر القديمة وأن تتمسك بها، ونجد جانبا كبيرا من النساء يتقوقع داخل هذه الأطر دون قدرة على أن يحقق عنها قدرا من الاستقلال أو قدرا من الابتعاد أو حتى قدرا من الرفض، ولذلك نحتاج عند التفكير في بعض السياسات للمرأة أن يتحقق لها قدر من الاستقلال.

محمد الكردي:

نشكر الدكتور أحمد زايد على هذا العرض بين المداخل الاجتماعية المختلفة للثقافة وتحليل المجتمع الحديث ودور المرأة فيه. وأود أن أشير إلى بعض النقاط، فقد تحدث الدكتور أحمد زايد عن لينتون وقد ذكرني هذا بإبراهام كاردينر فيما يخص فكرة الشخصية الأساسية، والمشكلة بالفعل أن التراث حصيلة تكاد تكون متجمدة لعادات وتقاليد، والسؤال هو كيف تتم ديناميكية المجتمع؟ وهنا يبرز دور كاتب مثل بورديو في تحليل الفاعل الاجتماعي، وهو تحويل التراث كمجموعة من التقاليد والعادات الجامدة إلى حركة، وعندما يكون المجتمع متمسكا بتراث يكون على درجة كبيرة من الجمود وعدم القدرة على التطور، وغالبا ما نتمسك بالتراث حينما نكون عُرضة للخطر، فنتخذ من التراث وسيلة للدفاع، ونظل نردد أن لدينا سبعة آلاف سنة من الحضارة. والمرأة كجزء من المجتمع تلعب دورا هاما، وهذا الدور يدخل في علاقات السيادة والقوة، وتاريخيا، انتصر المجتمع الأبوي، ويظهر هذا في تحجيم دور المرأة بالقول إن كيدهن عظيم، ولكن الكيد هو القوة المرنة بمعنى أن الرجل يمتلك القوة العضلية أو القوة المباشرة في حين أن المرأة لها قوة أخرى، قوة المراوغة والمداورة، وهذا هو سر قوة المرأة وفتنتها في الوقت نفسه. والأمثلة على ذلك كثيرة، وكلنا نعرف قصة شمشون ودليلة، حتى في ملحمة جلجامش، لم تأتِ "بإنكيدو" المتوحش طائعا إلا ربة الجمال التي أتت به مصفَّدا بعد أن أذاقته من ملذاتها وطيباتها.

وبالنسبة للمدخل النسوي، فقد شاع للغاية في الأدب، ثم خفت، لأنه ليست هناك في الأسلوب أو في اللغة خصائص أنثوية، والثقافة النسوية عند المرأة بحكم تربيتها وثقافتها وحساسياتها، ربما يكون لها اهتمامات خاصة في تحليل المشاعر تختلف عن الرجل. ويذكرني ذلك بأنه في فرنسا أقاموا أبحاثا عن ذكاء الأطفال، ووجدوا أنه في المرحلة الأولى تكون البنات أكثر ذكاء من الأولاد، لكن مع تطور التعليم، وبدءًا من المرحلة العليا يحدث العكس حيث تتجه المرأة إلى مجالات أقل تجريدا بينما يتجه الرجل إلى المجالات التجريدية، ولذلك نجد الكثير من الفلاسفة الرجال وقليلا من الفلاسفة النساء عبر التاريخ.

وبخصوص الأستاذة فاطمة المرنيسي، يبدو أنها غيرت موقفها، فالموقف الأول كان أنه في المجتمع الجاهلي لعبت المرأة دورا كبيرا فيه، أعظم ربما من دورها بعد الإسلام، وفي العصر الحديث كان في فترة ما لا يُذكر اسم الأم في البطاقة الشخصية، ولكنه بدأ يُذكر في الرقم القومي ولكن لأسباب أمنية محضة، وحتى

من يشتغلون بالسحر يطلبون معرفة اسم الأم، لأن الأم تمثل الطبيعة، وقد فهمت من هنا فكرة الإحرام بمعنى أن المرأة لا تلبس في الإحرام شيئا غير مخيط بينما الرجل هو الثقافة فلابد أن يرجع إلى الفطرة حتى يكون حجُهُ سليما.

بالنسبة لمسألة الــgender فهناك كاتبة فرنسية اسمها إليزابيت بادانتير، هذه المرأة ألفت كتبا كثيرة ضد الرجل، فهي تتابع نقائص الرجل وتحاول أن تنتقدها، والجملة الطريفة التي أخذتها عنها هي قولها بأن الرجل مصطنع لذلك فعندما ننهر رجلا نقول له "كن رجلا"، لكننا لا نستطيع أن نقول للمرأة في موقف مماثل "كوني امرأة"، فهي تقصد أن هوية الرجل هوية ملتبسة ولكي يصل إلى درجة الرجولة فليس هذا شيئا مفروغا منه، فلابد من بذل مجهود للوصول إلى معنى الرجولة.

أود أيضا أن أشير إلى كلمة "أمازون" والمقصود بها الإشارة إلى النساء المحاربات في الأسطورة، وفي الواقع، فإن هذه الكلمة في اللغة اليونانية تعني نساء بلا أثداء بمعنى أنهن محاربات، وهذه الصورة الأسطورية من الممكن أن تكون موجَّهة ضد الرجل، أو أن المقصود هو توضيح أنه كان هناك مجتمع أمومىّ سابق على المجتمع الأبوي، لكن من المؤكد أن المرأة في المجتمع الأمومي كانت الأم تمثل الرجل، في المجتمع الأبوي كانت الأم يساندها الخال، في المجتمع الأمومي تكون المرأة هي مصدر السلطة، ويشهد تاريخنا الفرعوني بالذات على سيدات يتسمن بالصفات الاستبدادية التي تُنسب إلى الرجل، مما دفع كاتبا فرنسيا مثل باشلار أن يذكر أنه يتجاذبنا روحان روح الأنثى وروح الذكورة، ويرتبط بروح الأنثى الرضا والسلام والكينونة وهو الشيء الموجود والمستتب، بينما الذكورة هي التغيير والتحديث لأن الرجل دوره التغيير والتحويل، لكن كل هذه تصورات ليست طبيعية أصيلة في كل من الذكر والأنثى، وإنما الثقافة السائدة هي التي تفرض عليها أن تراوغ لأنها لا تستطيع أن تطالب بحقوقها مباشرة، فالثقافة هي العامل الأساسي في إنتاج تصوراتنا ومفاهيمنا. وفي المجتمع الفرنسي في فترة ما كانت توجد وزيرة تُدعى إديت كاريسون، فكانوا يسخرون منها، وفي بريطانيا في فترة من الفترات كانت مارجريت ثاتشر رئيسا للوزراء وهي التي أُطلق عليها المرأة الحديدية، والتي تعددت مناوشاتها مع الرئيس الراحل لفرنسا ميتران ووزيره — في هذا الوقت - شيراك الذي أصبح الرئيس الحالي لفرنسا لأنهما كانا دوما يتمازحان قائلين عنها أنها ليست امرأة وإنما هي رجل! وقد كانت تسبهم علنا بسبب هذه السخرية.

وقد أشار الدكتور أحمد زايد إلى المتناقضات الموجودة في المجتمع والتي تشكل علاقة المرأة به وبالتراث الثقافي، وأنا أعتقد أن الحوار سيثري هذه المسألة بالتحديد.

سعيد حسن زلط (استشاري اقتصادي بحري):

أتساءل لماذا أخذت المرأة كل هذه الندوات والمحاضرات والشكاوى والأنين والاهتمامات الكثيرة في كافة المجالات وفي الإعلام وفي كل مكان وفي كل زمن تاريخيا وحاليا ومستقبلا حتى أصبحت

قضية المرأة تثير غيرة الرجل؟ فأين نحن الرجال من هذه القضايا، أليس لنا نحن الرجال قضايا أهم بل أكثر أهمية من قضية المرأة؟

كذلك، أود أن أشير إلى أن المرأة في الصعيد المصري لا ترث خوفا من ضياع الأرض والعقارات خارج الأسرة، بل تُعوَّض بجزء مادي صغير، وهذه قضية تئن منها المرأة بالذات، وأعرضها لبحثها ولوضع أسس العلاج والحل القانوني لها.

هناك تساؤل عام حول أننا نشاهد حاليا وصول المرأة إلى درجات وظيفية كثيرة، وأصبح الخريج والخريجة في شتى المجالات متساويين، بل المرأة أكثر دخلا من زوجها، ولكنها تعتمد على جزء من الشريعة بأنها غير ملزَمة بالإنفاق الأسري، فلماذا هذا الاعوجاج؟ ونحن نطالب بوضع حد لهذا الاعوجاج.

صفاء فؤاد (أستاذ المرأة الريفية – معهد بحوث الإرشاد الزراعي):

إن المرأة في مصر مثال نموذجي على مستوى النساء في العالم في الحصول على الحقوق والحريات، فقد خاضت المرأة المصرية إلى مجال العمل ونجحت للغاية ولم تتغير كما حدث في اليابان وفي أوروبا وفي أمريكا، وذلك لأنها حصلت على حريتها من تحت مظلة الرجل المصري، فقد نزلت إلى العمل من خلال التقاليد والعادات المصرية وتحت حماية الرجل المصري الذي يثور عليها اليوم. كذلك، هناك فرق بين التغيير والتغيُّر، وعندما سادت الحداثة في أوروبا حدث عندها تغير داخلي، وقد فكرت في الحداثة والمجتمع وصل إلى درجة معينة جعلته يطور نفسه، لكن ما يحدث عندنا هنا في مصر وفي الدول العربية مختلف، فنحن لدينا تقاليد عمرها أكبر من عمر أوروبا، وعندما نتحدث عن الأخذ بحداثة أوروبا فإن هذا شيء صعب، بل لابد أن نوازن بين تاريخنا الثقافي وبين التغيير الآتي من الخارج، وعندهم تغيُّر ولدينا تغيير، والمرأة العربية بشكل عام والمصرية بشكل خاص تكون حريصة على التغير في حدود أسرتها وكيان أسرتها.

كما أن مجال عملي هو المرأة الريفية ومن ذلك أستطيع أن أقول إن المرأة الريفية تضحي، فهي آخر شخص في الأسرة يفكر في راحته وفي طعامه وفي ملبسه، وإن أهم شيء لديها هو النظام الأسري والمحافظة على الأسرة كاملة والمحافظة على الخيوط التي تربط هذه الأسرة وتساعدها على التقدم، ولا يهمها إن كان هذا التقدم يتم على حسابها أو على حساب تضحياتها. وأؤكد على أن الشرع والقانون أنصفا المرأة المصرية.

وقد ذكر الدكتور أحمد زايد أن هناك مفاضلة في الصحة والغذاء بين البنت والولد، وأعلق على ذلك من خلال الدراسات أن الفارق في النظام الغذائي يقول إن الجهد الذي يبذله الرجل الريفي في الأرض أو الرجل بصفة عامة يحتاج إلى ثلاثة آلاف سُعر حراري في اليوم الواحد في حين تحتاج المرأة إلى ألفين وأربعمائة سُعر حراري على الأكثر، وذلك نتيجة للمجهود العضلي الذي يقوم به الرجل مقارنة بالمرأة، ومسألة المفاضلة تأتي بشكل غير مقصود ولكن المؤكد أن التراث التاريخي لم يأتِ من فراغ. أما المفاضلة

بالنسبة للتعليم أنه لو توافرت مدرسة قريبة من السكن فإن كلاهما يتعلمان، لكن في حالة وجود المدرسة أو الجامعة في منطقة بعيدة، فتأتي هنا المفاضلة في أن تتاح الفرصة للولد للذهاب إلى المدرسة بينما تُمنع البنت من ذلك ويرجع ذلك إلى خوفهم على البنت، وحيث تصل المسافة إلى ثلاثة أو أربعة كيلومتر يكون الأمر خطرا على البنت ولكن الخطورة تكون نسبتها أقل بالنسبة للولد، وقد أثبتت بعض الدراسات أن نسبة التعليم العالي بين الأولاد أعلى من نسبة التعليم العالي بين البنات، ويرجع هذا طبعا إلى أن معظم الجامعات تتطلب للذهاب إليها أن يقيم الشاب في مكان بعيد عن قريته. كما أن الرجل بعد أن ساعد المرأة على أن تحصل على جميع حقوقها، بدأ يفطن إلى أنها منافس له، وبدأ يطالب بالردة لها.

علي جلبي (أستاذ علم الاجتماع بآداب الإسكندرية):

لقد ربط الدكتور أحمد زايد بين المرأة والتراث، وفي المقابل هناك مفاهيم أخرى مثل مفهوم الميراث الثقافي أو الإرث الثقافي أو الموروث الثقافي، أرجو الإشارة إلى موقف هذه المفهومات الأخرى. كذلك، تحدث الدكتور أحمد زايد عن المرأة كفاعل، ولكننا نعرف أن المرأة – إلى حد كبير – مفعول بها أكثر منها فاعل. كذلك، بخصوص التفسيرات المستخدمة لتوضيح الأفكار وتحليل العلاقة ما بين المرأة وبين التراث، هناك مداخل أخرى مثل المدخل الذي يتحدث عن بناء القوة في الأسرة والشرعية، وكان من الممكن أن يفتح طرح هذا المدخل جوانب أخرى وأن يُلقي الضوء على العلاقة التفاعلية بين الموضوعين. وقد عرض الدكتور أحمد زايد النسوية كأحد المداخل، وأود أن أذكر أيضا أن هناك النسوية الماركسية، وأن هناك مجموعة من التصورات التي تطرحها النسوية الماركسية مثل المفهوم الأيديولوجي، وعند التحليل على مستويات مختلفة مستوى الـــ micro ومستوى الـــ macro، أعتقد أن هذه الأفكار كان من الممكن أن تلقي الكثير من الضوء وأن تثير الكثير من التساؤلات.

دينا علي:

أود أن أعرف لماذا نربط بين الدين والتقاليد؟ أو بين الحجاب وعدم التحرر؟ فهناك فرق كبير بين الدين والتقاليد، وأنه لا علاقة بينهما، فلقد أنصف الدين المرأة وظلمتها التقاليد، فالمجتمع يسمح للشاب بإقامة علاقات متحررة ويحلل له ارتكاب بعض الأفعال بدعوى أنه في يوم من الأيام سوف يهديه الله ويتزوج! أما البنت فإذا قامت بأي شيء مهين يقسو عليها المجتمع. على الرغم من أن الدين قد ساوى في التحريم في بعض الأفعال بين الرجل والمرأة، وساوى أيضا بينهما في كل التكليفات والواجبات. وأتمنى ألا نخلط بين التقاليد والدين، وليس معنى أن تتحجب المرأة أن حريتها قد حُجبت، على العكس، فمن الممكن أن تتحجب وتكون أيضا متحررة، ومن الممكن أن تكون محتشمة ومتحررة، فلا علاقة بين هذا وذاك.

محمد الكردي:

ماذا تقصدين بكلمة "متحررة"؟ إنها كلمة تُعطي أكثر من معنى.

دينا علي:

لا أقصد بأن تكون متحررة أن تكون منحرفة! فهناك فرق بين التحرر والانحراف، بل أقصد أن يكون لديها تفتح وثقافة ووعي. كما أود أن أضيف أن مشكلتنا ليست في الحجاب ولا في النقاب، وإنما مشكلتنا تكمن في عدم تقبل الآخر، فإذا تنقّبت فتاة لا تتقبل غير المحجبة والعكس، وهذا لا يصح، ولابد أن نتعلم تقبل بعضنا البعض ونحترم حرية بعضنا البعض، وأنا أعتقد أن هذه هي المشكلة الأساسية في مجتمعنا.

أيمن محمود:

أرجو أن يسمح لى الدكتور أحمد زايد أن أختلف معه، حيث يوجد اختلاف في المقدمات يؤدي إلى اختلاف في النتائج، وأعتقد أن هناك فرقاً بين الأسطورة والتراث الشعبي، فالأسطورة هدفها تفسير حركة الكون حين يبدأ الأمر بعمل أطروحة عامة هدفها إيجاد سبب عام. أما التراث الشعبي، فله عوامل أخرى خاضعة له تحكمها البيئة ويحكمها الزمان والمكان والتفاعل بين الأفكار، فصورة المرأة في الأسطورة تختلف عن صورها في التراث الشعبي، ففي الأسطورة نجد مثلا الإلهة هيرا عند الإغريق والإلهة إيزيس في الحضارة المصرية والإلهة عشتار في الحضارة البابلية، وهناك إعلاء من صورة المرأة في الأسطورة، أما في التراث الشعبي فهناك حط من صورة المرأة، ولابد أن نفرّق في المفهوم الأيديولوجي بين صورة المرأة في السيرة الشعبية أو التراث الشعبي وبين صورها في الأسطورة، وأذكر هنا مقولة سيمون دو بوفوار "إن الأنثى لا تولد امرأة ولكن المجتمع هو الذي يمنحها هذا الدور"، فالمجتمع هو الذي يشكّل المرأة ويكوّنها وهو الذي يزودها بالمناخ الذي تنشأ فيه أفكارها ومعتقداها وتتقرر فيه اتجاهاها سواء كانت متشددة أو متحررة، وكل ذلك ينشأ من الصراع القائم بين التقاليد الموروثة والحداثة، ولا ينطبق الأمر فقط على المرأة، وإنما يظهر أيضا في اتجاهات الشباب اليوم بين التطرف التام أو التحرر التام.

محمد الكردي:

لقد ذكرني هذا الحديث ببيت الشرف والرجولة للمتنبي:

لا يسلَم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراقَ على جوانبه الدمُ

وهنا نرى أن المتنبي يمثل تراث الذكورة المطلقة وبحثه عن الموت، وفي بحثه عن المرأة يبحث عن المخاطرة، ربما أراد الاتصال بامرأة ما وفي هذا مجازفة بحياته، وهذا هو المفهوم الذكوري.

في الواقع، إن علاقات القوة هي التي تحدد صور المرأة أو صور الرجل سواء في الأسطورة أو في الواقع، ونصل إلى هذه النتيجة إذا ما حللنا الأمر بالطريقة الماركسية عن طريق تحليل علاقات الإنتاج لنتعرف على القوى التي تهيمن عليها فسنجد المحرك وإن كان غير واعٍ بالفعل بالدور الذي يقوم به.

سيد سليمان (مهندس مدني):

لقد أنهى الدكتور أحمد زايد محاضرته بتساؤل عما إذا كان التراث مع المرأة أو ضد المرأة، وهذا هو الفرق بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، وقد كانت البنيوية في حلمها الأول تريد أن تجعل مدخل العلوم الإنسانية مساويا للعلوم الطبيعية لكنها انتهت بالتفكيكية عند Derrida وأن هذا لا عقلانيّ، لأن العلوم الإنسانية لن تُفضي إلى الإجابات التي يمكن أن تفضي إليها العلوم الطبيعية. والحداثة التي تحدث عنها الدكتور أحمد زايد هي ما يُطلق عليها القطيعة المعرفية، وهذه القطيعة معناها أن تقطع فيما قبل، إذن، التراث هو مجموعة حداثات، وهناك نقاط كثيرة حداثية في التراث على مدى التاريخ بمعنى وجود نقاط انقلاب كثيرة، فإذا أردنا أن نتحدث عن التراث، فلابد أن نتحدث عن الحداثات، ليست الحداثة الآنية وإنما الحداثة التاريخية عن طريق مؤرخ حداثي. وعندما نتحدث عن القطيعة المعرفية الأوروبية، نجد أنها ليست مثل القطيعة المعرفية الخاصة بنا. والسؤال هو ما هو الدور الذي تلعبه المرأة في المجتمع؟ بعض المجتمعات تصف المرأة بالكائن الضعيف، ومهما كانت بدائية المجتمع، فإنه يعطي للمرأة دورا خطيراً جدا، فهي أسمنت المجتمع، وهي أمينة سر المجتمع مهما كانت توجهاته، لذلك فإن إدخال أي إنسان في أي مجتمع يكون عن طريق تزويجه امرأة من هذا المجتمع، ويكون طرحه خارج المجتمع باقترانه بامرأة أخرى من مجتمع آخر. إذن، نحن أمام دور خطير للغاية، ولذلك، في الصعيد، المرأة هي التي تحرض على الثأر، وهي التي تربي طفلها على هذه النـــزعة حتى يصير رجلا وتهدده بالتبرؤ منه إذا لم يأخذ بالثأر، إذن، فالميراث الاجتماعي الذي يوجد في مجتمع معين تُعَد المرأة هي أمينة سره وهي الحافظة له وهي دعامته الأساسية، ولا يجب أن نهمِّشها، وكذلك يجب أن لا نصف المرأة بالكائن الضعيف لأن لها دوراً خطيراً للغاية في المجتمع.

سماح عطية:

أختلف مع الدكتور أحمد زايد على موازاته بين الثقافة وبين الحجاب، والدين جزء من الثقافة ونحن نعلم ذلك جميعا.

أحمد زايد:

أنا لم أتحدث عن الدين على الإطلاق، وإنما يبدو أنني لم أعبر عن هذه الفكرة جيدا.

سماح عطية (صحفية):

لقد حدث ربط بين الثقافة وبين الحجاب، وأود أن أقول إنه لكي نربط بين الثقافة وبين الدين لابد أن نذكر شيئا يكون نسبيا في الدين، أما الفرائض كالصلاة والصوم والحجاب لا يصح أن نقارن بينها وبين الثقافة، لأن الثقافة شيء نسبي ومتغير وقابل للتغير في أي لحظة، وعندما تعلمنا في قسم الاجتماع عن الثقافة تعلمنا أنها طريقة في الحياة، وأن لها شقين: شق مادي وشق معنوي، وإذا تغير أحدهما فسيؤثر على الآخر.

محمد الكردي:

أنا لا أوافق على هذا الكلام، فالدين يرتبط برؤيتنا الثقافية له.

أحمد زايد:

أنا لم أتحدث عن الدين على الإطلاق، إلا أنني أود أن أؤكد أن الزي الذي ترتديه فتياتنا اليوم تحت اسم الحجاب هو زي مماثل للزى الذي ترتديه الفلاحة المصرية منذ سبعة آلاف عام، أي قبل أن يدخل الإسلام مصر، فالمسألة تقاليد وليس لها أي علاقة بالدين، والمسيحيون في القرى المصرية يرتدون نفس الزي، وأنا على استعداد لأن أصطحب من يريد إلى قريتي وآتي له بسيدة مسلمة وبسيدة مسيحية، ولن يظهر أي فرق بينهما، فكلتاهما ترتدي نفس الزي الذي يحيط بالوجه ويخفي الرقبة. عندما دخلنا في الحداثة وتحررت المرأة وخرجت للعمل، كان جزء من دخولنا في هذه الحداثة إعادة تفسير الدين، فبدأنا نُحَدْثِن الدين، وبدأنا نطلق على هذا الزي لفظ الحجاب، ونأتي بالآية القرآنية التي تفيد هذا المعنى، وأنا عندما تحدثت عنه لم أتحدث عنه على أنه حجاب، وإنما على أنه زي تقليدي مصري، وهو رمز، وأنا لا أتحدث عن الدين، إنما جزء من الحركة الحديثة هو الحوار الشديد مع الدين، وليست كل المحجبات يرتدين هذا الزي عن تدين وإنما هو مجرد تقليد ليس أكثر، وكل الفتيات في الريف على الإطلاق يرتدين هذا الزي وهذا هو الزي الطبيعي الخاص بهن لأنه موروث عن أمهاتهن وجداتهن، وما طرأ على هذا الزي هو تحديثه، فقد دخلت عليه الألوان والموضة، وهو ما يؤكد أنه ظاهرة لا علاقة لها بالدين. وهناك الكثير من المظاهر التي تشبهه، مثل من يفتح المصحف ويقرأ منه وهو يجري في النادي!! أو من تمسك بالمسبحة وتفعل ما في وسعها لكي تظهرها!! ويعتقدون أن هذا نوع من التدين.

إن الطريقة التي نتدين بها ونفهم بها الدين والتي نُمَظهِر بها الدين والتي نجسد بها الدين في العالم طريقة تدعو للتأمل والتساؤل، وما ذُكر عن الآخر أثناء الحوار فكرة جميلة للغاية، وفي هذا الإطار التديني — ولا أقول الدين لأنني لا أتحدث عن الدين ولا عن نصوص الدين – نحن نكاد نصنع بالدين وبالرموز الدينية

– أو التي نتصور أنها دينية – عوالم يحاول كل منها أن يسيطر على الآخر وأن يفرض رأيه على الآخر، لدرجة أننا قد نختلف على أشياء بسيطة، وذات يوم كنا نصلي في الجامع، فارتطمت رأس شخص بأحد أعمدة المسجد فجُرحت رأسه وساعده البعض بأن أحضروا له منديلا ليمسح جرحه فأفتى أحدهم بأن وضوءه قد نُقض بهذه الطريقة وأن عليه إعادته! وأعتقد أنه لو أن النبي عليه الصلاة والسلام كان حاضرا في هذا الموقف لمسح له رأسه ولطلب منه استكمال صلاته، وقد قيل لنا لو لم نعرف اتجاه القبلة لصح لنا أن نصلي بدونها، ولو لم نجد ماءً لنتوضأ به فلنتيمم، والتيمم هو اكتساب روحاني للطهارة، وقد قمت بجمع مواقف في البحث الذي أجريه حاليا عن كيفية ارتداد المجتمع إلى التقاليد، ومن هذه المواقف أن أحدهم كان في طريقه لاصطحاب والدته للطبيب ومر بمسجد فدخل ليصلي، وحدث موقف ما جعل البعض يقول له إن صلاته باطلة لأن وضوءه باطل، فبدلا من أن يكمل الطريق للطبيب ذهب إلى مكان للإفتاء ليتأكد من صحة صلاته!

وهناك مواقف أخرى كثيرة تؤكد أننا أصبحنا نتمسك بالشكليات، وأصبحنا نخلق بالرموز التي نصنعها حول أنفسنا سدا بيننا وبين الآخر، وهنا يأتي دور علم الاجتماع في التحليل وفي اختبارات التمايزات وفي إجراء المقارنات بين الأفكار المطروحة، وأرى البعض يتباهى بارتداء هذا الزي أو ذاك أو بأداء مناسك الحج مع شركة أغلى من الأخرى! ووسط كل هذا نحتاج أن نفهم أولا قبل كل هذا الاهتمام بالمظاهر.

محمد الكردي:

عندي مجموعة من الأسئلة والتعليقات تدور كلها في مجال واحد، وقد أشاد أحد طالبي الكلمة بمكانة المرأة في التراث الفرعوني بدءًا من حتشبسوت وانتهاء بكليوباترا مما يدل على أن مكانة المرأة كانت عالية في العصور القديمة. وسؤال آخر يتناول الجانب الديني المحافظ أو السلفي وموقفه من المرأة والتيار العلماني وموقفه من المرأة، وهو يطالب بتوضيح الفروق بين الاتجاهين.

أحمد زايد:

لقد حاولت في محاضرتي أن أثير أسئلة لا أن أطرح إجابات، وحاولت أن أقدم مدخلا ربما يكون مدخلا مختلفا في قضية المرأة، وكما قيل أن المسألة ليست بسيطة وأننا نحتاج إلى التعمق أكثر في فهمها. وأحد الأطروحات تقول إن التراث يهين المرأة، وأنا أقول إن كونه يهينها أو يبجلها هي فكرة أرفضها، ففي التراث المرأة فاعل في التاريخ، وهي بهذا الفعل أحيانا تكون مقهورة وأحيانا تكون منتصرة، وقد أعطيت أمثلة من الدراسات التي تمت على الإمبراطورية العثمانية في هذا الصدد.

أما قضية الديني والعلماني فهي قضية من القضايا التي لابد أن نعيد مناقشتها لأننا نعتمد فيها على الذين يقولون إن العلمانية شيء سيئ، ومفادها أن الغربيين اتجهوا إلى بناء الحياة الدنيا، وأنا أقول إن الدين لم يكن أبدا ضد العلمانية، فقد تأسست العلمانية الغربية على روح دينية، وأود أن أشير إلى أن الإنسان الغربي متدين ويذهب إلى الكنيسة أكثر من ذهابنا نحن إلى الجامع، وهو يواظب على الصلاة وبعض المدن في أوروبا بها ٣٦٦ كنيسة بعدد أيام السنة، ولذلك لابد من مراجعة العلاقة بين الدين والعلمانية، والدين الإسلامي من أكثر الديانات التي دعت إلى التمتع بالحياة فى الدنيا، ومن أكثر الديانات التي دعت إلى الربط بين الدنيا والآخرة، وأن نكون علمانيين بمعنى أن نعمل في الدنيا، وعندي رؤية دينية سأقولها بشكل صريح أن المتدين الحق هو الذي يصنع الدنيا الحق، وليس من يتعامل مع الله بالآلة الحاسبة، علينا أن نؤدي الفرائض ولكن علينا أيضا أن نصنع دنيا حقيقية، وإلا سيتركنا العالم، وصناعة الدنيا هنا معناها أن نفكر في مجتمعنا وأن نحل مشاكله.

لقد انقرضت الحضارة الفرعونية – في رأيي – لأنها اهتمت بالآخرة أكثر من اهتمامها بالدنيا على الرغم من أن الدكتور جاب الله علي جاب الله يعارضني في ذلك إلا أنني مازلت مصرًّا على رأيي، وهو أن أحد أهم أسباب انقراض هذه الحضارة هو التأكيد المستمر على الآخرة، وتديننا الآن كله هو عبارة عن تفكير في الآخرة بل وبه أنانية مفرطة بمعنى أننا طوال الوقت نحاسب الله فنحن نقوم بعمل عمرة حتى يغفر الله لنا ونحن نصلي حتى يفعل الله كذا ونحن نقرأ القرآن حتى نأخذ حسنة وندخل الجنة، فهل هذا هو التدين؟ هذا تدين به أداتية أو Instrumental، فإذا كانت العلاقة مع الله على هذا الشكل فهي في رأيي علاقة غير جميلة، لكن الله سبحانه وتعالى يحبنا أن نقوم بفعل حقيقي ونصنع في الحياة طريقا من نور، بحيث نسير في الحياة ونحن نشع نورا لمن حولنا ونصنع حياة حقيقية وبجوار ذلك نؤدي الفرائض ولا نسعى لفساد في الأرض، وهذا هو الإنسان الذي نبتغيه. وأنا كمسلم لست في حاجة إلى أن يتلو عليّ أحد نصوص القرآن والسنة، لأننا نعرف جميعا كل النصوص، وهنا تبرز من جديد فكرة الآخر، إننا نرفض الآخر بالدين، وكل منا يتهم الآخر بأن تدينه ناقص لأنه لا يحفظ النص الفلاني أو لا يفعل كما يقول النص الفلاني. إن القرآن الكريم العظيم يدعونا إلى التحابب والتآلف (**ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا**) فهذه عظمة تدعونا إلى أن نجتمع على الطعام في ود وترابط، فهل يذكرها أحد؟ والمقصود هنا ليس الطعام ذاته، وإنما الفلسفة الجمعية، وفكرة أننا وحدة واحدة ولا أحد يعيش بمفرده.

نحن نحتاج أن نتعمق في الآيات التي تساعدنا على أن نقيم حياة دنيوية حقيقية، والتي تجعلنا نترابط أكثر مع بعضنا البعض، والدين الإسلامي دين عظيم للغاية، والقرآن الكريم به الكثير من الإشارات إلى تكوين المجتمع والوحدة بين أفراده. وأؤكد أننا لو صنعنا دنيا طيبة فنحن بهذه الطريقة نخدم الدين، ولو قمنا بإنشاء مجتمع قوي مثل أمريكا فسنكون قد خدمنا الدين خدمة كبرى، ولنصلي كثيرا فهي علاقة بيننا وبين الله، ولنصم ولو حتى الدهر كله، ولنـــزكي ولو حتى بنصف أموالنا، ولكن علينا أيضا أن نقدم نموذجا في

الحياة بأن لا نكون كسولين فلا نعمل ولا ننتج وإذا ما واتتنا الفرصة للفساد نفسد وإذا ما واتتنا الفرصة للنفاق ننافق، وفي النهاية ندَّعي أننا متدينون!

بالنسبة للمرأة في الصعيد، أقول إنني أصلا صعيدي، وأعرف الكثير من المآسي المرتبطة بالمرأة في الميراث، ولكن الأغرب في المسألة والمرتبط بالعلوم الاجتماعية وفلسفتها أن المرأة هي التي تدافع عن ذلك وتوافق عليه، وأنها لا تريد أن تفقد أخوالها ولا الاختلاط بهم فتخضع إلى التقاليد، لكن في نفس الوقت، وخاصة الأسر التي لا تملك أراضي شاسعة والتي تحتاج فيها المرأة فعلا إلى دخل هذه الأرض، فإنها تدافع عن حقها في الميراث وتحصل عليه بالقوة وتلجأ في أحيان كثيرة إلى المحاكم، إذن، المسألة ليست مطلقة، وإنما تختلف من أسرة لأسرة.

أثني على ما قالته الدكتورة صفاء فؤاد، إلا أنني أود أن أوضح أنني في حديثي لم آخذ أبدا بالحداثة الخاصة بأوروبا، والفكرة التي أتبناها هي أن الأوروبيين يعتبرون الحداثة مشروعًا عالميًّا، وفكرة العولمة قائمة على ذلك، فالعولمة تخلق صورا عالمية للحداثة، وتقول نظريتي إن الحداثة الغربية تخلق أشكالا حداثية شكلية، وفي عمقها تخلق صورا مختلفة عن الشكل وتخلق سلوكيات حديثة، والأسلوب الذي أصفه للشخص المتدين تدين شكلي في حين أن سلوكياته خاطئة وكذلك الشخص الحديث بمعنى الفهلوي المزيف غير المتدين وغيرهما من النماذج، وهذا النمط الحداثي الذي ظهر بيننا يدل على أن هذا نمط خاص، فقد أتينا بالتقاليد مع الحداثة وقمنا بعجنهما وخلقنا منهما ثقافة ثالثة لا هي حديثة ولا هي تقليدية.

حول فكرة الخطورة على البنت من المسافات البعيدة مما يتسبب في حرمانها من التعليم، أقول إنني قمت بعمل بحث لم أنشره بعد عن زيارة لقريتي – والتي قمت بعمل رسالتي للدكتوراه عليها – وفوجئت في القرية بما رأيت من كتل البنات اللائي يستيقظن من نومهن في الفجر، ويُدفَع بهن لركوب سيارات نصف نقل ثم بعد ذلك يسرن على الأقدام سبعة أو ثمانية كيلومترات بقيادة رجل أو امرأة منهن حتى يعملن في الحقول، وبالطبع فإنهن بالضرورة يحرمن من التعليم. إذن، فالموضوع ليس خوفًا عليهن من المسافة التي تفصلهن عن المدرسة وإلا لكان الخوف هنا أولى، فهؤلاء البنات اللائي يعملن في الحقول في ريعان المراهقة والشباب ينـــزلن إلى الغيطان والمزارع في الفجر، وقد سألت بعض الآباء عن ذلك فأكدوا أن المسألة تجري في أمان تام وأنه لا وجود لأية مشكلات من أي نوع، إذن، فأنا أعتقد أن حرمان البنت من الذهاب إلى التعليم ليس خوفا عليها، وإنما السبب هو ثقافة الذكورة.

أشكر الدكتور علي جلبي على ملاحظاته، فموضوع بناء القوة في الأسرة الذي ذكره مسألة هامة للغاية، وأؤكد أنني لم أذكر موضوع النسوية بالكامل وإنما ذكرت منه شذرات. أما موضوع الدين والتقاليد فأرجو أن أكون قد أوضحت وجهة نظري، وأتمنى أن أستطيع بلورتها في يوم من الأيام وكتابتها.

كذلك، أوافق الأستاذ أيمن محمود في كلامه عن العلاقة بين الأسطورة والتراث، وقد مجدت الأسطورة المرأة كثيرا، ففي الأساطير الإغريقية، وُلد الكون من امرأة والبحر من امرأة، وفي الأساطير الفرعونية عندنا إيزيس وقصتها الشهيرة مع أوزيريس، ولكن يعبر التراث عن الحياة المادية التي تُعاش بشكل مادي محسوس، وتشرح لنا الأسطورة ما كان ينبغي أن يكون عليه الكون أما التراث الشعبي فإنه يشدنا إلى الواقع. وبالطبع ما قلته عن المرأة ينطبق على الشباب لأنه ينطلق من نظرية عامة عن البنية الاجتماعية بأكملها.

وعن القطيعة المعرفية، أقول إنها قطيعة مع التقاليد وليست قطيعة معرفية في الحقيقة، والحداثة هي قطيعة مع التقاليد، ونحن لم نقُم بعمل قطيعة مع التقاليد ولا مع التراث، في حين أوقف الغربيون التراث وصاغوا تراثا جديدا يتماشى مع الحداثة، فموقفنا مختلف، فنحن لم نتخلَ عن التراث، وأنا لا أقصد هنا الدين، ولكن حتى فيما يخص الدين، فقد ظل معنا في صوره الجامدة دون أن يظهر من يجدد للناس دينهم ويقدم اجتهادات.

وحول وصف المرأة بأسمنت المجتمع، فأنا لا أوافق على ذلك، وفي علم الاجتماع مصطلح يقول إن الأيديولوجية هي أسمنت المجتمع، فالفكر هو الذي يقوم بربط الناس بعضهم ببعض وليس فرد بعينه، فالخيط غير المنظور الذي يربط العقول كلها ببعضها البعض هو الأيديولوجيا. ومع ذلك، فأنا أقر بأن للمرأة دوراً خطيراً وقد أعطيت أمثلة على ذلك، إلا أنني أرى ألا نقوم بحل المشكلة بأن نكرر ذلك، فنحن في حاجة إلى أن ندمج المرأة أكثر في المجتمع، وأن نساعدها على أن تُخرج الأوهام من نفسها، وهي نفسها تنزع من عقلها الأوهام التي وضعتها الثقافة في عقلها.

وفي نهاية حديثي، أقول إنه إذا كان هدفنا أن نقوم بعمل تنمية شاملة أو نهضة شاملة، فأنا أعتقد أنه لا تنمية بغير دراسة للثقافة وفهم عميق لها وللعلاقات الاجتماعية بين الناس، ولابد من عمل سياسات مرتبطة لتغيير ما هو اجتماعي وما هو ثقافي.

محمد الكردي:

نشكر الدكتور أحمد زايد على إجاباته الشافية والناصعة على الأسئلة والمداخلات التي وردت إليه.